إنطلق من ذاتك

عن كتاب انطلاق الروح

للبابا شنوده الثالث

فى بعض الأحيان لا يمدحك الناس ، أو يكون مديحهم لك أقل من مديحهم لغيرك . فبدلا من أن تسر و تبتهج ، لأن شيطان المجد الباطل نائم عنك و لو الى حين ، أراك تسعى الى اتعاب نفسك فتجلس الى الناس تتسول مديحهم بطريقة لا تتفق مع كرامتك كابن لله ، و هكذا تحدثهم عن نفسك ...

فهل تسمح لى يا أخى الحبيب أن أناقش معك الأمر بنفس ما اعتدناه قبلا من صراحة ؟

١ـ لماذا تحدث الغير عن نفسك ؟ أ تريدهم أن يعجبوا بك ؟ اليك اذن هذا السؤال الصريح : هل أنت فى أعماق ذاتك معجب بنفسك ؟ لا شك أنك فى حقيقتك متضايق من نقائص كثيرة محيطة بك , لماذا تريد اذن أن يمجدوا شخصية أنت نفسك غير مقتنع بتمجيدها ؟

٢ـ لو اعتمدنا فرضا مبدأ الحديث عن النفس ، فهل أنت تعطى صورة صادقة حقيقية عن نفسك ؟ أم أنت تذكر للناس النواحى البيضاء فقط ، و تترك النقط البشعة الحقيرة التى تنفرهم منك ؟ أ لا تعرف يا صديقى أن أنصاف الحقائق ليست كلها حقائق ؟ أ لست ترى اذن أن فى حديثك عن نفسك شيئا من الخداع و الكذب و تقديم وجه واحد من صورة لها عيوبها ، تلك العيوب التى تعرفها أنت جيدا و التى يعرفها معك أبوك الروحى ؟

٣ـ انك تعرف بلا شك أن حديثك عن (فضائلك) يضيع عليك أجرك . و لست أشك أنك قرأت العظة على الجبل و سمعت فيها " لا تعرف شمالك ما تفعله يمينك " " فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية " ... اننى مشفق عليك يا أخى الحبيب ، تجاهد طويلا فى سبيل فضيلة معينة ، و فى لحظة طيش ، من لحظات البر الذاتى اللعين ، يأتى الشيطان و يسلب كل جهادك منك ، فاذا تعبك كله قد ضاع باطلا ... كلما أراك تتحدث عن نفسك ، يخيل الى أنك شخص زرعت زرعا ، فلما أنماه الله و أتى ثمره ، بدلا من أن تحصده و تفرح به أشعلت فيه النار ، أو تركت الشيطان يحصده نيابة عنك ! يا صديقى العزيز ، كلما أحسست رغبة فى التحدث عن نفسك ،

دع ذلك القول الالهى يرن فى أذنيك " الحق أقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم " (متى ٦ : ٢)

٤ـ هناك ضرر آخر من حديثك عن نفسك ربما توضحه لك الحادثة الآتية : كنت فى احدى المناسبات أتكلم فى حماسة و اعجاب عن شخص مبارك أحبه و أقدره ، فقاطعنى أحد أساتذتى الروحيين قائلا : " أرجوك ، لا تكمل هذا الكلام . انك بهذا الحديث تجمع الشياطين حوله لتحاربه . أتركه يعمل فى هدوء . انه ما يزال مبتدئا و فى حاجة الى صلوات كثيرة " . فسكت و قد شعرت فعلا أننى أخطأت فى حق هذا الانسان . الشياطين لا تطيق أن تسمع عن أعمال طيبة لانسان . ان اتخذك الله وسيلة لعمل مجيد ، فليكن ذلك سرا بينك و بين الله . لا تتحدث عن هذا العمل لئلا تتعرض لحسد الشياطين و قتالهم . و لا يضيع أجرك فحسب ، و انما قد تتعرض لحرب قاسية لا تعرف نتائجها .

٥ـ أ رأيت اذن بعضا من الضرر الذى يحيق بمن يتحدث عن نفسه ؟ أ تستطيع أن تدلنى ـ فى مقابل ذلك ـ عن فائدة واحدة تجنيها من مديحك لذاتك ؟ لست أقصد تلك النزوة الحسية الخاطئة التى يشعر بها كل من يلمح نظرات الاعجاب موجهة اليه ، فهذه فى حد ذاتها خطيئة تحتاج الى علاج !! هناك فائدة حقيقية أعرضها عليك : ان ألح عليك الحديث عن نفسك الحاحا لم تستطع له مقاومة ، فحدث الناس عن ضعفك و عجزك ، حدثهم عن نفسك الساقطة التى لولا معونة الله لأشبهت أهل سدوم ، و اطلب اليهم بالحاح أن يصلوا من أجلك حتى يفتقدك الله برحمته .

٦ـ كلمة صريحة أخرى . ترددت طويلا قبل أن أهمس بها فى أذنك ، و هى أنه حتى الناس أنفسهم يشمئزون أحيانا ممن يتحدث كثيرا عن نفسه . انهم يسمونه أحيانا (المنتفخ) أو (المغرور) و هكذا لا يكسب مثل هذا المادح لذاته سماءا و لا أرضا .

٧ـ أخيرا فان تلك الأعمال التى تحاربك بالبر الذاتى ليست كلها من صنعك : هناك الظروف المحيطة ، و الدور الذى قام به الآخرون ، و الامكانيات التى منحت لك من فوق . انها تكون مبالغة بلا شك أن تنسب كل هذا الى نفسك فقط ناسيا عمل الله فيك .

ان كنت ماتزال تهتم بفكرة الناس عنك ، و تتخذ كافة السبل ليحسن رأيهم فيك فمن الصعب أن تصل الى سمو انطلاق الروح .

أ ترانى ضايقتك بصراحتى يا أخى الحبيب ؟ سامح ضعفى مصليا من أجلى .